المبحث الثالث

الإشباع والاختلاس

لما كان لكل صوت زمن يستغرقه في النطق كانت أصوات المد ، وهي ما تعرف عند المحدثين بـ " الحركات الطويلة " هي أكثر الأصوات إطالة لزمن النطق بها ، وما كان الفرق بينها وبين الحركات القصيرة إلا في مقدار زمن النطق بكل منهما ، فكما يقول أحد الباحثين : " وما الفرق بين الحركات وحروف المد إلا بمقدار الزمن الذي يستغرقه نطق كل منهما ، فالحركة إذا أطيل زمن النطق بها صارت حرف مد ، وكذلك حرف المد إذا قصر زمن النطق به رجع إلى الحركة ؛ لأن الفرق بين الحركات وحروف المد فرق في الكمية لا أكثر[1] " .

فعن طريق إطالة زمن النطق بالحركات القصيرة نشأت ظاهرة الإشباع ، وعن طريق إجتزاء وإسكان وحذف الحركات الطويلة نشأت ظاهرة الاختلاس في العربية .

وفيما يلي عرض لكل منهما على حدة :

أولا - الإشباع

والإشباع كما يقول الدكتور / تمام حسان : " هو تقوية النطق بالصوت[2] " أو " إتمام الحكم المطلوب من تضعيف صيغة حرف المد أو اللين لمن له ذلك[3] ".

وقد كان ابن جني موفقًا في التعبير عن هذه الظاهرة بقوله : " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ... وذلك أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه ، وذلك نحو فتحة عين (عَمَر) فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف ، فقلت : عامَر . وكذلك كسرة عين (عِنَب) إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة ، وذلك قولك : عِيْنَب . وكذلك ضمة عين " عُمَر " لو أشبعتها لأنشأت بعدها واوًا ساكنة ، وذلك قولك : " عُوْمَر " فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، وأوائل لها لما نشأت عنها ، ولا كانت تابعة لها[4] " .

---

(1) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد د. غانم قدوري الحمد صـ 507- مكتبة الخلود – بغداد – الطبعة الحادية عشرة 1406هـ - 1986م.

(2) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان صـ 302- الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979م .

(3) الإضاءة في بيان أصول القراءة صـ 27.

(4) سر صناعة الأعراب 17/1 ، 18 . وينظر : الخصائص 317/2 .

ويؤكِّد ابن جني على ذلك في باب خاص أطلق عليه " مطل الحروف " يقول فيه : " وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها ، فتنشئ بعد الفتحة الألف ، وبعد الكسرة الياء ، وبعد الفتحة الواو[1] " .

الإشباع في رصف المباني :

أشار المؤلَّف في كتابه " رصف المباني " إلى إشباع الحركات القصيرة الثلاث (الفتحة والكسرة والضمة) وتولُّد الحركات الطويلة منها (الألف والياء والواو) في عدة مواضع بيانها على النحو التالي :

1- : إشباع الفتحة

النص :

ذكر المؤلَّف في " باب الألف " : " أن تكون إشباعًا للفتحة إذ تتولَّد عنها إذا مُدَّ الصوت بها ، وأكثر ذلك في الشعر .

كقول الشاعر :

يَنْباعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ مَشْدُوَدَةٍ الْفَتِيقِ المُقْرم[2].

وقال آخر :

قالت وقد خَرَّت على الكَلْكَال يا ناقتي ماللت من منال [3].

وقال آخر :

أعوذُ بِاللهِ من العَقْراب الشائِلاتِ عُقَدَ الأَذْنابِ[4].

---

(1) الخصائص 3/123 .

(2) ديوان عنترة . تحقيق . محمد سعيد المولوي صـ 204- بيروت . د ت . ورواية " مشدودة " فيه : " زيَّافة " . وهو في : الخصائص 3/123 ، ولسان العرب (ب وع) 1/388 ، والزفري : العظم خلف الأذن ، والغضوب : هي الناقة ، والجسرة : هي الطويلة العظيمة الجسم ، والزيافة : السريعة ، والفتيق : الفحل المكرم ، والمقرم : الفحل الذي يترك من العمل ويودع للضراب .

(3) المحتسب 1/166 برواية : ما جلت من مجال ، ولسان العرب (ك ل ل) 5/3921 ، والجني الداني صـ 69 . والكلكل : الصدر .

(4) لسان العرب (س ب س ب) 3/1921 .

فأشبع الأول فتحة الباء من " ينْبع " ، والثاني فتحة الكاف من " الكلكل " ، والثالث فتحة الراء من " العقرب " ، فتولدت عنها الألف كما ترى[1] " .

2- : إشباع الكسرة

النص :

في الباب السابق ذكر المؤلَّف : " قول الشاعر :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهيم تنقاد الصياريف[2] .

وأما " الصياريف " فجمع " صِرف " ، لكنه أشبع الكسرة فتولَّدتْ عنها الياء كما قال :

تحبك نفسي ما حييت فإن أمت يحبك عظم في التراب تريب [3] .

أراد : ترب [4] " .

3- : إشباع الضمة

النص :

في الباب السابق أيضًا ذكر المؤلِّف هذا الموضع بقوله : " وكما تتولَّد الألف عن الفتحة في نحو ما ذكر ، والياء عن الكسرة فيما ذكر أيضًا وأشباهه ، كذلك تتولَّد الواو عن الضمة إذا أشبعت كقوله :

الله يعلم أنا في تقلبنا

يوم الفراق إلى أحبابنا صور

وأنني حيثما أثنى الهوى بصري

من حيث ما سلكوا أدنو فأنظور

---

(1) رصف المباني ص11، 12 .

(2) ديوان الفرزدق . تحقيق . عبد الله الصاوي 570/2- مصر 1354هـ - 1936م . وهو في : الكتاب 28/1، وسر صناعة الإعراب 1/ 34 ، والخصائص 315/2 ، ولسان العرب (ص ن ع) 2509/4 .وتنفي : تطرد وتبعد ، تنقاد : مصدر نقد إذا ميَّز رديئها من جيدها ، الصياريف : جمع صيرف وهو الخبير بالنقد .

(3) لم أقف عليه .

(3) رصف المباني ص12،13.

(4) المحتسب 166/1 برواية : ما جلت من مجال ، ولسان العرب (ك ل ل) 3921/5 ، والجني الداني صـ 69 . والكلكل : الصدر .

أراد : " أنظر " فأشبع حركة الظاء فتولدت عنها الواو [1] " .

ومن خلال ثلاثة نصوص أشار المؤلِّف إلى هذه المواضع جميعًا ذاكرًا من خلالها بعض الوظائف الدلالية للإشباع .

النص الأول :

ذكر المؤلِّف في " باب الهمزة " : " الموضع الثالث عشر : أن تكون للإنكار في أول الكلمة ، وذلك إذا أنكرت كلام غيرك أو أنكرت رأيه ، فتقول في نحو جاء زيد : أزيدُ نيه ، ورأيت زيدًا : أزيدَ نية ، ومررت بزيد : أزيدِ نيه برفع الدال ونصبها وجرها ، وذلك في المعرب ؛ لأنَّ النون من " نيه " هو التنوين ، والياء إشباع لحركة النون وبيان الإنكار ، والهاء لبيان المد والوقف[2] " .

النص الثاني :

في باب " الياء المفردة " : الموضع الثامن : أن تكون للتذكر كالواو والألف كقولك في الوقف على الكلمة الأولي التي لا تتم إلاَّ بغيرها ، وكانت آخرها كسرة ، وذلك في نحو أنت تفعلين : أنتي ، ولم تضربِ الرجل : تضربي .

ومنه قوله : .... **لَمَّا تَزُل (بِرِحالِنا [3]) وكأن قد [4] .**

فالياء في البيت جمعت معنيين ، أحدهما الإطلاق والآخر التذكر ؛ لأنَّ المعنى : وكأنْ قد زالت ، فلما حُذِفَ " زال " – وهو يراد – جعل الياء للتذكر عوضًا منه ، ووقعت إطلاقًا كما ترى .

---

(1) رصف المباني صـ 13 . وينظر صـ 446 في باب الباء المفردة . نسبا إلى ابن هرمة في شرح المعلقات السبع للزوزني صـ 285 – مصر 1384هـ - 1965م , وسر صناعة الإعراب 1 / 36 , وهما في الخصائص 1 / 42 , 2 / 316 , 3 / 124 – والرواية فيه : " تلفتنا " و " يسري " عوضًا من " تقلبنا " و " أثنى " . ولسان العرب (ص و ر) 4 / 2524 . والصور : جمع أصور , وهو المائل العنق .

(2) رصف المباني صـ 53 .

(3) في النص : (بركابنا) .

(4) ديوان النابغة . تحقيق د. شكري فيصل صـ 30 – بيروت 1968م . وقبله :

أَفِدَ التَرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنا .

وهو في لسان العرب (ق د د) 5/3544 . وفيه " أزف " عوضًا من " أفِدَ " . وأفِد : قرب ، لم تزل : لم تنتقل.

وإذا وقعت آخر الكلمة في الوصل ياء وحَذَفْتَ ما بعدها ووقفتَ أشبعتَ تلك الياء قدر يائين كما تفعل في الألف ، ومثل ذلك أيضًا يُفْعَلُ في الواو ، فتقول : أعطى زيدٌ درهمًا : أعطا ، أو في ضربتم زيدًا : ضربتمو ، وفي غلامي يقوم : غلامي ، حتى يُعْلَم في ذلك أن ذلك المدَّ إنما هو عارض من المحذوف على معنى التذكر[1] " .

النص الثالث :

في " الباب السابق " : " أن تكون في آخر الضمير المفرد المذكر ، دلالة على التذكير كما كانت الألف فيه دلالة على التأنيث نحو : بهي ، كما تقول في الألف : بها ، وكذلك في ضمير الجمع المذكر دلالة على الجمع ، وذلك في بهمي وعليهمي ، كما كانت الألف دلالة على التثنية في بهما ، والواو دلالة على الجمع المذكر في بهمو ، وهما لغتان : بهمو وبهمي ، وعليهمو وعليهمي ، كما أن المذكر أيضًا فيه لغتان : الواو والياء ، فتقول : عليهمي وعليهمو ، وإليهمي وإليهمو[2] ... " .

التعليق :

ذكر المؤلِّف عدَّة شواهد تؤكِّد أن ظاهرة الإشباع من الظواهر التي لها واقع ملموس في العربية ، وهذا ما نؤكِّد عليه بدليل شيوع هذه الظاهرة في لغة أهل الحجاز ، واليمن ، وبعض بني سليم[3] ، إضافة إلى تميم وطيئ[4] ....

وقد يبدو غريبًا أن تنسب هذه الظاهرة غالبًا إلى القبائل البدوية ، والتي عرف عنها السرعة في النطق وعدم التأني في الآداء نظرًا لطبيعة حياتهم ، ولكن الأمر ليس على إطلاقه ؛ لأن القبائل المتأنية تعطي كل صوت حقه من الأداء فلا حاجة بها إلى إشباعه ... والذي نظنه أن العلاقة قوية بين الإشباع هنا وبين ما عُرف عن القبائل البدوية من سرعة في الآداء ؛ لأن

---

(1) رصف المباني صـ 447 , 448 .

(2) السابق صـ 448 .

(3) ينظر : الكتاب 177/1 ، والمحتسب 166/1 ، 258 ، 259 ، 430 ، والخصائص 318/2 ، 23/3 : 126 ، وسر صناعة الإعراب 727/2.

(4) ينظر : معاني القرآن للفراء 152/2، والمصباح المنير للفيومي (ن خ ر) صـ 227- ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك . حققه . محمد كامل بركات صـ 25 – دار الكتاب العربي بالقاهرة 1388هـ – 1968م . وارتشاف الضرب 463/1 ، 473 ، والبحر المحيط 628/2 ، وإتحاف فضلاء البشر 448/1 .

هذا الإشباع هو المحطة التي يريح أحدهم فيها نفَسَه بعد إجهاده بسرعة الآداء ، أما القبائل المتأنية فلا حاجة بها إلى وقفة تريح النفس...[1].

فمطل الحركة هنا كان أحيانًا ضرورة تفرضها عليهم سرعتهم في النُّطق ؛ لأنَّ هذه السرعة تحتاج إلى شيء يحدُّ منها ، وكان المطل في بعض الكلمات بمثابة كابح يكبح جماح هذه السرعة فيعطى الكلام دفعات من الروية ، وقد أشار ابن جني إلى مثل هذا حين ربط بين الإشباع في بعض مواضعه وبين طريقة الآداء فقال : " ... وهذا المطل لا يكون مع الإسراع والاستحثاث ، وإنما يكون مع الروية والتثبت[2] ". فإشباع الحركة بما فيه من روية وتثبت كالمستراح يريح فيه البدوي نفسه من الإجهاد بسرعة الآداء[3] .

وقد ذكر المؤلِّف في النصوص الثلاثة الأخيرة بعض الوظائف الدلالية لظاهرة الإشباع منها التذكر والإنكار ، و هما من الوظائف الدلالية لتلك الظاهرة ، حيث ذكر ابن جني أن ظاهرة الإشباع تأتي " لمعان حدثت وأغراض زيدت[4] " ، ثم أشار للدلالة الأولى بقوله : " وكذلك الحركات عند التذكر يُمْطَلْن حتى يفِين حروفًا . فإذا صرنها جرين مجري الحروف المبتدأة توامَّ ، فيُمْطَلْن أيضًا حينئذ ؛ كما تُمْطَل الحروف . وذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة في قمت : قمتا ، أي قمت يوم الجمعة ، ونحو ذلك ، ومع الكسرة : أنتي ، أي أنت عاقلة ، ونحو ذلك ، ومع الضمة : قمتو ، في قمتُ إلى زيد ، ونحو ذلك[5] " .

ثم ذكر ابن جني الدلالة الثانية وهي الإنكار بذكر تلك الحكاية في كتابه " المحتسب " فيقول : " يحكى أن رجلا ضرب ابنًا له ، فقالت له أمه : لا تضربه ، ليس هو ابنك ؛ فرافعها إلى القاضي فقال : هذا ابني عندي ، وهذه أمه تذكر أنَّه ليس مني . فقالت المرأة : ليس الأمر

---

(1) اللهجات في الكتاب لسيبويه (أصواتًا وبنية) د. صالحة راشد غنيم آل غنيم صـ 123، 129- جامعة أم القرى –مكة المكرمة –مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي –الطبعة الأولى 1405هـ - 1985م.

(2) المحتسب 165/1 .

(3) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث د. الموافي الرفاعي البيلي صـ 201- الطبعة الأولى 1412هـ - 1991م .

(4) سر صناعة الإعراب 719/2 .

(5) الخصائص 131/3، 132 .

على ما ذكره ، وإنما أخذ يضرب ابنه فقلت له : لا تضربه ليس هو ابنك ، ومدت فتحة النون جدًّا ، فقال الرجل : والله ما كان فيه هذا الطويل الطويل[1] " .

ثانيًا - الاختلاس

والاختلاس هو : عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعًا يحكم السامع أن الحركة قد ذهبت وهي كاملة في الوزن , وقيل : هو عبارة عن النطق بثلثي الحركة وهو الصحيح[2] .

وقد تحدث عن هذه الظاهرة بعض الباحثين المحدثين تحت ما يسمى بـ " تقصير العلة " مؤكِّدًا أن مقطع الكلمة يتغير نظرًا لما يحدث لها من تقصير فيقول : " من المعروف أن اللغة العربية لا تسمح بالمقطع س ع ع س إلا قبل سكتة ، أي في حالة الوقف . فإذا طرأ موقف سبب حدوث س ع ع في غير ما سبق السماح به , فإن اللغة تميل إلى تقصير العلة لتصحيح الخلل الطارئ . مثل ذلك : " في المدى " التي تقسم في الأصل إلى المقاطع الثلاثة : س ع س / س ع / س ع ع / . ولما كان المقطع س ع ع س قد وقع في الوسط ، وهذا محظور فقد تخلصت اللغة من هذا المحظور عن طريق تقصير العلة الطويلة وتحويل المقطع الأول إلى س ع س[3] " .

وقد تحدَّث عنها الدكتور / تمام حسان تحت ظاهرة " الكمية " فقال : " إن الكلمات التي تنتهي بالألف أو الواو أو الياء إذا وقعت إحداها قبل كلمة مبدوءة بالساكن فقد حرف المد في نهايتها كمية وأصبح بمقدار الحركة من ناحية " المدة " التي يستغرقها النطق بحرف المد . ومعنى ذلك أن البنية المقطعية قد اختلفت بمطالب الكلام عما كانت عليه حسب مقررات القاعدة[4] ..."

الاختلاس في رصف المباني :

من خلال خمسة نصوص معقودة لخمسة حروف عربية بدت ظاهرة الاختلاس في (رصف المباني) على النحو التالي :

---

(1) المحتسب 210/2 .

(2) الإضاءة في بيان أصول القراءة صـ 39 , 40 .

(3) دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر صـ 391 .

(4) اللغة العربية معناها و مبناها د. تمام حسان صـ 306 .

النص الأول :

في فصل الألف ومعانيها ومواضعها في كلام العرب يذكر المؤلِّف الموضع الثالث منها فيقول :

" والقسم المبين للتأنيث هي الألف التي بعدها الإضمار المؤنث نحو : ضربتُها ، وأكرمتها ، والأصل في المذكر في الهاء : الضم مع الضمة والفتح مع الفتحة والكسر مع الكسرة ، نحو : ضربته ، ومررت به ، والواو والياء بعدها دليلان على التذكير ، وفي المؤنث الهاء المفتوحة بعد الفتح وغيره وهو السكون . والألف بعده لبيان التأنيث ، مثاله ما ذكر[1] ، والهاء الأصل في الجميع ، بدليل أنها[2] تحذف الواو والألف والياء في الضرورة إذا كان قبلها متحرك ، وتبقي الهاء بحركاتها ، قال الشاعر :

أَعْلَقْتُ بالذِّئْبِ حَبْلاً ثُمَّ قُلْتُ لَهُ

إِلْحَقْ بِأَهْلِكَ وَأسْلَمْ أَلُّها الذِّيب

أما تَقُوُد به شاةْ فتأكلُها

أَوْ أَنْ تَبِيعَهْ لدي بعضِ الأراكِيبِ[3] .

أراد : " تبيعها " ، فحذف الألف وأبقي الفتحة دلالة عليها ، ثم حذف الحركة تخفيفًا ، كما قال الآخر في المذكَّر ، حين حذف الواو ، وأبقي الضمة تدل عليها :

لَهُ زَجَل كَأَنَّهُ صَوْتُ حادٍ ذا طَلَبَ الوَسِيقَةَ أو زُمِيرُ[4] .

ثم حذف الآخر الحركة ، فبقي الضمير ساكنًا تخفيفًا ، فقال :

وأَشْرَبُ الماءَ ما بي نَحْوَهُ عَطَشٌ

إلاَّ لأَنَّ عُيُونَهْ سَالَ وَادِيها[5]

---

(1) أي : ضربتها وأكرمتها .

(2) الضمير للقصة أو الشأن

(3) ينظر : لسان العرب (ركك ب) 3/1713 ، وخزانة الأدب 2/402 .

(4) ديوان الشماخ . تحقيق . صلاح الدين الهادي صـ 36 – مصر 1968م . وهو في : الكتاب 1/30 ، والخصائص 1/127، ولسان العرب (ها) 6/4596 يصف حماراً وحشيّاً ، والوسيقة : أنثاه ، والزمير : الغناء في القصبة .

(5) الخصائص 2/18 ، ولسان العرب (ها) 6/4596 .

وقال آخر :

... ونضواي مشتاقان لَهْ أرقان[1]

وأبعد من هذا قوله :

فبنياهُ يَشْري رحلهُ قال قائل

لِمَنْ جمل رخو الملاط نجيب[2] .

أراد " هو " فحذف الواو بحركتها . وكذلك فعلوا في هاء الضمير المكسور كقوله :

غفلت ثم أنت تطلبه فإذا هِيَ بِعِظامٍ ودَمَا[3]

ثم قال الآخر ، فحذف الياء بحركتها :

دارُ لسعدي إذْهِ من هواكا[4] .

أراد " هي " ، وهو في باب الواو والياء أكثر منه في باب الألف لثقلهما وخفتها[5] .

ومما يجري مجري قوله : " أو أن تبيعَهْ " في البيتين المتقدمين ما حكى الفراء من قول بعض العرب : " بالفضل ذو فضَّلكم الله به والكرامة ذات أكرمكم الله بَهْ[6] " ، أراد : بها ، فحذف الألف ونقل حركة الهاء إلى الياء ، وهو شاذ لا قياس عليه[7] " .

النص الثاني :

في باب " أل " يذكر المؤلِّف " حذف بعض أجزاء " الذي " لكثرة الاستعمال ، كما فُعِل ذلك في " ايمُن الله " وقال : " الذيُّ " وهو الأصل ، ثم " الذي " ثم " الَّذ " ، كما قالوا : ايمُ ومُ ، فمن ما جاء على الأصل منه قول الشاعر :

---

(1) قال في خزانة الأدب 401/2 : اختُلف في نسبته بين أبي مسلم بن أبي قبيس وعمرو بن أبي عمارة ، وصدره : فظلت لدى البيت العتيق أخيله . وهو في المقتضب 39/1 ، 267 ، والخصائص 128/1 . ونضواي : صاحباي الهزيلان ، والضمير في " له " عائد إلى البرق في بيت قبله .

(2) قال في خزانة الأدب 396/2 : البيت للمُخلّب الهلالي أو العُجَيْر السلولي . وهو الخصائص 69/1،وشرح المفصل 68/1 ، ولسان العرب (ها) 4596/6 . ويشري : يبيع . والمِلاط : عضد البعير .

(3) لسان العرب (أ ب ي) 17/1 .

(4) وقبله في خزانة الأدب 399/2 : هل تعرِف الدار على تِبراكا . وهو في الكتاب 27/1 ، والخصائص 89/1 ، ولسان العرب (ها) 4597/6 .

(5) أي : ثقل الواو و الياء وخفة الألف .

(6) وهي لغة طيئ . شرح الأشموني 206/4 . وذو وذوات اسمان موصولان .

(7) ينظر : رصف المباني صـ 15: 17 .

فماذا المال فاعلمه بمال وإن أنفقته إلا الذي
تنال به العلاء وتصطفيه لأقرب أقربيك وللقصيِّ [1]

ولا يُحتاج إلى الاستشهاد على " الذي لكثرته في النظم وفي النثر ، وقال الآخر في " الَّذِ " بحذف الياء والاجتزاء بالكسر قبلها :

وَالَّذِ لوشاء لكنت صخرًا أو جبلا أصم مُشْمُخِرًّا[2] .

وقال آخر في سكون الذال منه تخفيفًا :

فكنت والأمر الذي قد كِيدا كالَّلذْ تَزَبَّى زبية فاصطيدا[3]

ثم حذف الكلمة واجتُزِئ عنها بالألف واللام للزومها فيها وكثرة الاستعمال[4] " .

النص الثالث :

في باب " حاش " يذكر المؤلِّف أنه " قد يجوز حذف ألفها اختصارًا كقوله تعالى : ﴿ **حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا** ﴾ [5] و ﴿ **حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ** ﴾[6] ، وذلك لكثرة الاستعمال ، ويظهر من مذهب الزجاج أنها اسم مضاف تارة إلى ما بعده وتارة تظهر اللام قبل المضاف إليه ، يقال : حاش الله ، وحاش لله ، كما يقال : معاذ الله ومعاذ لله ، وحُكى عن الفراء أنه فعل لا فاعل له[7] ، وحُكى عن بعض الكوفيين أنها فعل في الأصل وحَكى أنها كـ " نُعْم " في قول الشاعر :

فقد بُدِّلَتْ ذاك بِنُعْمِ بال[8] ..... .

---

(1) أمالي الشجرى 305/2 – الهند – 1349هـ ، والدرر الهوامع على همع الهوامع للشنقيطي 55/1- مصر 1328 هـ .

(2) أمالي الشجري 305/2 ، والدرر اللوامع 56/1 .

(3) أمالي الشجري 305/2، وخزانة الأدب 498/2 . وتزبَّى زبية : حفر حفرة .

(4) ينظر في لغات " الذي " : الأزهية في علم الحروف للهروي . تحقيق . عبد المعين الملوحي صـ 301- دمشق 1391هـ - 1971م . وينظر : رصف المباني صـ 76 .

(5) سورة يوسف من الآية (41) .

(6) سورة يوسف من الآية (51) .

(7) ينظر : شرح الكافية للرضي 224/1- القاهرة 1306هـ ، وهمع الهوامع للسيوطي / 232- مصر 1327هـ .

(8) هو في المقرب لابن عصفور . تحقيق الجواري , والجبوري 65/1 – بغداد – 1391هـ - 1971م . وعجزه : وأيام لياليها قصار .

هذا قول بعضهم ، والصحيح أنَّ " حاش " في الآيتين فعل حُذِف آخره لكثر الاستعمال ، وفاعله مضمر يعود على يوسف (عليه السلام) ، ومفعوله محذوف اختصارًا كأنه قال : حاش يوسف الفعلة لأجل الله ، وهذه التي مضارعُها " يحاش " ومعناها المجانبة ، وما فسَّره به بعضهم من التفسير وخرجوا به عن الأصول بعيد[1] "

النص الرابع :

في باب " لن " يذكر المؤلِّف : " قال الشاعر في النصبَ بلن :

... فَلَنْ يَحْلَ للعينين بعدك منظر[2].

أي : " يَحْلي " فحذف الألف في النصب ، كما يحذفها في الجزم بـ " لم " فهو مجزوم كما قال أبو علي الفارسي وابن جني . وأظهر من هذا عندي أن يكون الأصل : " يَحْلي " بإثبات الألف والنصب مقدر في الواو المنقلبة الألف عنها ، تم حذفت واجتزئ بالفتحة التي فيها قبلها في الدلالة عليها .

كما قال الشاعر :

وليس براجع ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لواني[3].

أراد بقوله : " يالهفا " لأن الألف بدل من الياء التي للمتكلم ، لأن أصله : يالهفى ، فإذا فُعِل ذلك بالألف المنقلبة عن الاسم فهو فيما انقلبَتْ عن حرف أولى ، فاعلمه " [4] .

النص الخامس :

في " باب الياء المفردة " بذكر المؤلِّف أن " الحذف في الموضعين لغة أيضًا فيقال : إليهمْ وإليهُمْ ، وبه ، وعليه ، وعليْهُ ،وتصرَّف القُرَّاء في ذلك في القرآن على مَهْيع[5]هذه اللغات[6]"

التعليق :

من خلال النصوص الخمسة التي قدمها المؤلِّف يمكن أن ندرك أن الاختلاس عنده قد تحقق من خلال ثلاثة عناصر :

---

(1) رصف المباني صـ 76 .

(2) البيت لكثير ، وهو في ديوانه 60/1 وصدره : أَيَادي سَبا يا عَزُّ ما كُنْتُ بَعْدَ كُمْ . وأيادي سبا : مشتت الشمل .

(3) الخصائص 135/3 برواية " فلست بمدرك " عوضاً من " وليس براجع " ، والمحتسب 323/1 ، والمقرب 181/1 ، والعيني 248/4 .

(4) رصف المباني صـ 288 .

(5) والمهيع: البين .

(6) رصف المباني صـ 448.

أ- حذف الحركات الطويلة حال اتصالها بالضمير إذا كان قبلها متحرك في حالة الضرورة ، وهي في باب الواو والياء أكثر منه في باب الألف لثقلها وخفتها .

ب- حذف الياء من " الذي " .

ج- حذف الألف الأخيرة من (حاشا) .

والعلَّة في ذلك كما ذكر المؤلِّف هي كثرة الاستعمال والاختصار ، مؤيِّدًا رأي الخليل عندما قال : " إن العرب تقول : (لا أدر) فتحذف الياء وتجتزئ بالكسر ، إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال ، والأجود في النحو إثبات الياء[1] " .

وكذلك يذكر ابن جني هذه العلة في قراءة ابن مُحَيصن والأشهب والأعمش : " وكَأْيٍ " بهمزة بعد الكاف ساكنة ، وياء بعدها مكسورة خفيفة ونون بعدها ، في وزن كَعْيٍ ... وأما كَاءٍ بوزن كعٍ فمحذوف من كاءٍ ، وجاز حذف الألف لكثرة الاستعمال[2] " .

وبالرغم من ذلك فقد أشار ابن جني في مواضع كثيرة إلى أن العلة من هذا الاجتزاء هو التخفيف وليس كثرة الاستعمال ، حيث ذكر في تلك الرواية التي رواها الأعمش عن يحيى بن وثَّاب ، والمغيرة عن إبراهيم : " ورُبَعَ " في قوله تعالى : ﴿ **فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ** ﴾[3] مرتفعة الراء منتصبة بغير ألف : " ينبغي أن يكون محذوفًا من (رُبَاع) تخفيفًا[4] " .

وكذلك أشار ابن جني إلى حذف الألف في قراءة ابن عامر وأبي جعفر والأعرج : ﴿**يَٰٓأَبَتِ**﴾[5] فيمن فتح التاء أنه أراد يا أبتا ، فحذف الألف تخفيفًا[6] .

---

(1) حجة القراءات صـ 349 .

(2) المحتسب 171/1 .

(3) سورة النساء من الآية (3) .

(4) المحتسب 181/1 .

(5) سورة يوسف من الآية (4) .

(6) السابق 277/1 . وينظر : معاني القرآن للفراء 1 / 91 , والسبعة في القراءات صـ 344، وحجة القراءات صـ 353، والكشف 3/2 ، والتيسير صـ 103، ومفاتيح الغيب 649/16 ، والجامع لأحكام القرآن 3442/4 ، والبحر المحيط 236/6 ، والمنشر 293/2 ، وإتحاف فضلاء البشر 139/2 .

وأيضًا في قراءة الحسن : حاش الإله ، فمحذوف من حاشا تخفيفًا[1] .

وكذلك في قراءة أبي رجاء : ﴿ٱلْقَنِع﴾[2] يريد القانع ، وهي قراءة العامة ، إلا أنه حذف الألف تخفيفًا وهو يريدها[3] .

ومن هنا فإن التخفيف والاختصار هما عنوان الاختلاس بخلاف كثرة الاستعمال فلا وجود له هنا كما يقول أحد الباحثين : " أما التخفيف والاختصار فهما حاصلان بتقصير المقطع ، وأما كثرة الاستعمال فلا نعتقدها علَّة لهذه الظاهرة ، لأن كثرة استعمال صيغة ما وقلته أمران نسبيان . وكثيرًا ما كانت (كثرة الاستعمال) تكأة اللغويين عندما يعجزون عن التعليل[4] " .

وقد ظهر الاختلاس في العربية تعبيرًا عن واقع ملموس لحال بعض اللهجات العربية وهي :

أ- قيس وأسد كما أشار سيبويه بقوله : " وقد دعاهم حذف ياء يقضِي إلى أنْ حَذَف ناس كثير من قيس وأسد الياء والواو اللتين هما علامة المضمر[5] " .

ب- هوازن وقيس كما أشار الفراء بقوله : " وقد تُسقط العرب الواو وهي واو جِمَاع ، اكتُفِي بالضمة قبلها فقالوا في ضربوا : قد ضَرَبُ ، وفي قالوا : قد قالُ ذلك ، وهي في هوازن وعليا قيس ... وتفعل ذلك في ياء التأنيث ... يحذفون ياء التأنيث وهي دليل على الأنثى اكتفاء بالكسرة[6] " .

ج- أزد السراة كما ذكر ابن جني عند تعليقه على الياء اللاحقة بعد الهاء في ﴿ هَـٰذِهِۦ هي سَبِيلِىٓ ﴾[7] ونحوه فزائدة كما ذكر أبو الحسن : " ... ومنهم من يدعها على سكونها

---

(1) المحتسب 341/1 . وينظر : الجامع لأحكام القرآن 3503/4، والبحر المحيط 269/6 ، وإتحاف فضلاء البشر 146/2 .

(2) سورة الحج من الآية (36) .

(3) المحتسب 82/2 . وينظر : سر صناعة الإعراب 631/2، 773 ، 70/2 .

(4) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث د. الموافي الرفاعي البيلي صـ 212.

(5) الكتاب 211/4 .

(6) معاني القرآن للفراء 91/1 .

(7) سورة يوسف من الآية (108) .

في الوصل كما يسكِّنها عند الوقف عليها ، كما أن منهم من يسكن الهاء المضمرة إذا وصلها فيقول : مررت بِهْ أمس ، وذكر أبو الحسن أنها لغة لأزْد السَّراة ..." [1] .

د- هذيل كما أشار الجوهري بقوله : " وقرئ : (يوم يَأْتِ) بحذف الياء ، كما قالوا : لا أدِرْ ، وهي لغة هذيل " [2] .

هـ- بنو كلاب وعقيل كما أشار أبو حيان والصبان ، فيقول الأول : " والاختلاس وتسكين الهاء عند سيبويه ضرورة وحكاهما الكسائي عن بني كلاب وبني عقيل تقول : لَهْ وبهْ ولهْ وبهْ ، وقرأ أبو جعفر: " بِهْ "،ويعقوب " بيده " بالاختلاس على هذه اللغة[3]".

ويقول الثاني : " وقد تسكن أو تختلس حركتها بعد متحرك عند بني عقيل وبني كلاب اختيارًا فيقولون : له بالإسكان والاختلاس ، وعند غيرهم اضطرارًا[4] " .

الإشباع والاختلاس والضرورة الشعرية :

يُعْرِب المؤلِّف عن رأيه في قضية الإشباع والاختلاس فيري أنهما من عوامل الضرورة الشعرية ، ولا تتحقق قضية الإشباع عنده في النثر إلا من خلال الضمير " أنا " التي هي ضمير المتكلم المرفوع إذا كان بعدها همزة ، فيقول عن الإشباع : " وباب ذلك كله ضرورة الشعر ، وأما فصيح الكلام فلم يأت إلا في " أنا " التي هي ضمير المتكلم المرفوع إذا كان بعدها همزة ، نحو : " أنا أُحيى[5] " و " أنا أخرج " و " أنا إذًا أكرمك " وهي قراءة نافع بن أبي نعيم ، على خلاف عنه في المكسورة ، وأما مع غير الهمزة فلا تمد إلا في الضرورة ، كقوله :

وكَيْفَ أَنا وانْتِحال القوافي بَعْدَ المَشِيبِ كَفى ذاك عَارا[6] .

---

(1) المحتسب 244/1 وينظر : الخصائص 129/1، 371 ، ولسان العرب (م ط ي) 4227/6 .

(2) الصحاح (أ ت ي) 2262/6 .

(3) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان 467/1 . وينظر : الكتاب 202/4 .

(4) حاشية الصبان 110/1 .

(5) سورة البقرة من الآية (158) . وينظر : المنصف 9/1 .

(6) البيت للأعشى وهو في ديوانه . تحقيق د. محمد محمد حسين صـ 53. القاهرة . وينظر : شرح المفصل 45/4 ، ولسان العرب (ن ح ل) 4369/6 والأصل : وانتحالى .

وكقول الآخر :

أنا سيف العشيرة فاعرفوني حميدًا قد تذريت السناما[1] .

وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾[2]، ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[3] , ﴿ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾[4] لأنَّهم جعلوها من باب إشباع الفتحة وتولُّد الألف عنها ، والصحيح أن الألف في رؤوس هذه الآي كالألف في القوافي ، وهو باب آخر يذكر بعد هذا إن شاء الله[5] " .

وعن الاختلاس يقول المؤلِّف بعد ذكر بعض الكلمات التي اتصل بها هاء الغائب : " والهاء الأصل في الجميع ، بدليل أنها تحذف الواو والألف والياء في الضرورة إذا كان قبلها متحرك ، وتبقي الهاء بحركاتها[6] " .

ولنا مع هذه النصوص وجه اتفاق وآخر اختلاف ، وتبيان ذلك على النحو التالي :

1- وجه الاتفاق :

من خلال النصين السابقين نلاحظ أن المؤلِّف مع الضرورة الشعرية في إقامة ظاهرتي الإشباع والاختلاس ، فأما عن :-

أ- الإشباع :

فقد تحقَّق عند المؤلِّف من خلال :

1- الضرورة الشعرية :

ونحن مع المؤلَّف في أنَّ هذه الظاهرة يؤتي بها من أجل ضرورة إقامة الوزن الشعري كما ذكر ذلك في جميع الأبيات الشعرية الخاصة بهذه الظاهرة ، ويؤكد ذلك ما ورد على ألسنة

---

(1) البيت لحميد ين ثور الهلالي وهو في ديوانه تحقيق عبد العزيز الميمني صـ 133- القاهرة 1371هـ - 1951م . وينظر : المنصف 10/1 ، والمقرب 246/1 ، وشرح المفصل 93/3، 84/9 .وتذريت : علوت.

(2) سورة الأحزاب من الآية (10) .

(3) سورة الأحزاب من الآية (67) .

(4) سورة الأحزاب من الآية (66) .

(5) رصف المباني ص14،13.

(6) رصف المباني صـ 13 ، 14 .

علماء اللغة ، حيث يقول ابن جني : " وقد أجرت العرب كثيرًا من ألفاظها في الوصل على حد ما تكون عليه في الوقف ، وأكثر ما يجئ ذلك ضرورة الشعر[1] " .

ويقول في موضع آخر عن حروف الإشباع : " أنهن توابع للحركات ومُتَنَشِّئة عنها ، وأن الحركات أوائل لها وأجزاء منها ، وأن الألف فتحة مُشْبَعة ، والياء كسرة مشبعة ، والواو ضمة مشبعة . يؤكد ذلك عندك أيضًا أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ الحرف ، فتشبع الفتحة ، فيتولد بعدها ألف ، وتُشبع الكسرة ، فتتولد بعدها ياء ، وتُشبع الضمة فتتولد بعدها واو[2] " .

2- **النثر :**

وخَصَّه المؤلِّف بضمير المتكلم المرفوع " أنا " إذا كان بعدها همزة ، واستدلَّ بقراءة نافع بن أبي نعيم : " أنا أحيي " بإثبات الألف وصلا ووقفًا بخلاف سائر القراء فعلى حذفها وصلا[3] ، ونحن معه في تحقق الإشباع في هذه الصورة .

فالألف في ضمير المتكلم المرفوع " أنا " كانت محور اختلاف بين البصريين والكوفيين ، حيث يرى البصريون أنها زائدة ، بخلاف الكوفيين فيرون أنها من أصل الكلمة .

وقد عرض ابن يعيش لكلا الرأيين بقوله : " فالألف والنون هو الاسم عند البصريين والألف الأخيرة أتي بها في الوقف لبيان الحركة ، فهي كالهاء في اغزه وارمه ، وإذا وصلت حذفتها كما تحذف الهاء في الوصل ، وذهب الكوفيون إلى أنها لكمالها هي الاسم ... وقد كثر ذلك عنهم ، حتى قال الكوفيون إنها من الكلمة وليست زائدة[4] " .

وابن جني مع رأي البصريين في أن الألف هنا زائدة ، وليست بأصلية ، حيث يقول : " فأما الألف في " أنا " في الوقف فزائدة ، وليست بأصل ، ولم نقض بذلك فيها من قبيل

---

(1) المنصف 10/1 .

(2) سر صناعة الإعراب 33/1 .

(3) ينظر : السبعة صـ 188 ، وحجة القراءات صـ 142 ، والعنوان في القراءات السبع لإسماعيل ابن خلف الأنصاري . حققه . د . زهير زاهد و د . خليل العطية صـ 75 – عالم الكتب – الطبعة الثانية 1406 هـ - 1986م , وإملاء مَا مَنَّ به الرحمن 1 / 108 , والبحر المحيط 627/2 ، والنشر 231/2 .

(4) شرح المفصل 92/3 ، 84/9 .

الاشتقاق ، هذا محال في الأسماء المضمرة ؛ لأنها مبنية كالحروف ، ولكن قضينا بزيادتها من حيث كان الوصل يذيلها ويذهبها ، كما يذهب الهاء التي تلحق لبيان الحركة في الوقف ، ألا ترى أنك تقول في الوصل : أنا زيد " كما قال تعالى : " إني أنا ربك " تكتب في الوقف بألف بعد النون ، وليست الألف في اللفظ ، وإنما كتبت على الوقف ، فصار سقوط الألف في الوصل كسقوط الهاء التي تلحق في الوقف لبيان الحركة في الوصل[1] " .

إذًا فعلى رأي البصريين تثبت الألف وقفًا ، وتحذف وصلا[2] , وهي اللغة الفصحى ولغة أهل الحجاز كما قال السيوطي[3] ، وعلى رأي الكوفيين تثبت وصلا ووقفًا ، وهي لغة تميم[4] .

والحق أن البصريين قد جانبهم الصواب عندما قالوا بزيادتها ، لأن الزائد هو مالا يلفظ به لا وصلا ولا وقفًا ، والألف اللينة هنا ليست كذلك لثبوتها في " أنا " وقفًا لجميع القراء ، ولا شك أن الرسم مبنى على الوقف والابتداء ، فلما ثبتت لم تكن زائدة ، ومما يقوى هذا احتفاظ لهجة تميم بالألف في حالتي الوصل والوقف[5] .

ب- الاختلاس :

ونحن مع المؤلِّف أيضًا في أن قضية الاختلاس يؤتي بها من أجل ضرورة إقامة الوزن الشعري ، حيث سلك هذا الاتجاه كثير من كبار علماء اللغة أمثال سيبويه والمبرد وابن جني ، حيث ذكر سيبويه في " باب ما يحتمل الشعر " قوله : " واعلم أنَّه يجوز في العشر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف ، يشبِّهونه بما ينصرف من الأسماء ، لأنَّها أسماء كما أنَّها أسماء , وحذف مالا يحذف ، يشبهونه بما قد حُذف واستعمل محذوفًا[6] " .

---

(1) المنصف 9/1 . وينظر: شرح المفصل 84/9 .

(2) حاشية الصبان 114/1 .

(3) همع الهوامع 60/1 .

(4) السابق 60/1 . وينظر : البحر المحيط 628/2 ، والدرر اللوامع على همع الهوامع 35/1 .

(5) اللهجات العربية في التراث 2/ 50 .

(6) الكتاب 26/1 .

وكذلك يقول المبرد : " واعلم أن الشاعر إذا احتاج إلى الوزن وقبل الهاء حرف متحرِّك ، حذف الياء والواو اللتين بعد الهاء ، إذ لم يكونا من أصل الكلمة ... وأشد من هذا في الضرورة أن يحذف الحركة[1] " .

ويقول ابن جني : " وأما قول الشماخ :

له زَحلٌ كأنه صوت حا

إذا طلب الوسيقة أوزمير

فليس هذا لغتين ، لأنا لا نعلم رواية حذف هذه الواو وإبقاء الضمة قبلها لغة ، ينبغي أن يكون ذلك ضرورة وصنعة ، لا مذهبًا ولغة ، وكذلك يجب عندي وينبغي ألاَّ يكون لغة ، لضعفه في القياس . ووجه ضعفه أنه ليس على مذهب الوصل ، ولا مذهب الوقف . أما الوصل فيجب إثبات واوه كلقيت هو أمسِ . وأما الوقف فيوجب الإسكان كلقيته وكلمته ؛ فيجب أن يكون ذلك ضرورة للوزن ، لا لغة[2] " .

2- **وجه الخلاف :**

وأما عن وجه الخلاف بيننا وبين المؤلِّف فيبدو في أن ظاهرتي الإشباع والاختلاس وإن كانتا في غالب الأحيان تُعَدُّ الضرورة الشعرية هي العنوان البارز لكليهما ، إلا أنهما يأتيان في النثر أيضًا وإن كانا دون الشعر ، وذلك بدليل :

أ – ورد كثير من القراءات سبعيَّة وغير سبعيَّة بهما , وفيما يلي عرض بعض النماذج الدَّالة على ذلك .

– اقتده في قوله تعالى : ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[3]، حيث قرأ ابن عامر وابن ذكران (اقتدهي) وصلا ، وهشام وابن عباس (اقتِده) وصلا ، باختلاس الكسرة في الهاء وصلا وسكونها وقفًا[4] .

---

(1) المقتضب 176/1، 177 .

(2) الخصائص 372/1 .

(3) سورة الأنعام من الآية (90) .

(4) ينظر : الكشف 438/1 ، 439 ، والتيسير صـ 86 ، والعنوان في القراءات السبع صـ 92، والمحرر الوجيز 103/6، والجامع لأحكام القرآن 2558/3 ، والبحر المحيط 578/4 ، والدر المصون 117/3 ، والنشر 142/2، وإتحاف فضلا البشر 21/1 .

– ترزقانه في قوله تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾[1]، حيث قرأ قالون من طريقيه ، وابن وردان ، بخلف عنهما باختلاس كسرة الهاء ، والباقون بالإشباع[2] .

– يرضه في قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[3]، حيث قرأ بإشباع الهاء أبو عمرو والكسائي وابن كثير وابن عامر ونافع وابن ذكوان وابن وردان والدوري وابن جماز وخلف وابن مُحَيصن واليزيدي وورش وابن سعدان والمسيب ، وباختلاس ضمة الهاء قرأ نافع وحفص عن عاصم وحمزة ويعقوب وهشام بخلاف عنه [4] .

– سأوريكم في قوله تعالى : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[5] .

– بواو ساكنة بعد الهمزة – على قراءة الحسن[6] .

– أفئيدة في قوله تعالى : ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[7]بياء بعد الهمزة – على قراءة ابن عامر وهشام والحلواني [8] .

متكاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ [9]– بالمد والهمز – على قراءة الحسن وابن هرمز[10] .

---

(1) سورة يوسف من الآية (37) .

(2) ينظر : إتحاف فضلاء البشر 147/2 .

(3) سورة الزمر من الآية (7) .

(4) ينظر : السبعة في القراءات صـ 560، 561 ، والكشف 236/2 ، وحجة القراءات صـ 619 ، والتيسير صـ 153 , والكشاف 389/3 ، ومفاتيح الغيب 26/ 391 ، والبحر المحيط 9 / 187، والجامع لأحكام القرآن 5880/8 ، والنشر 308/1، 309 , وإتحاف فضلاء البشر 2 / 427 .

(5) سورة الأعراف من الآية (145).

(6) ينظر : المحتسب 259/1 ، والمحرر الوجيز 7 / 160 ، والبحر الميحط 172/5، 173 . والدر المصون 3 / 341 .

(7) سورة إبراهيم من الآية (37) .

(8) ينظر : التيسير صـ 135 , والمحرر الوجيز 93/10 ، والبحر المحيط 447/6 ، والنشر 299/2 ، وإتحاف فضلاء البشر 2 / 170 .

(9) سورة يوسف من الآية (31) .

(10) ينظر : المحتسب 340/1 ، والمحرر الوجيز 9 / 289 .

وقد تعرضت بعض القراءات السابقة وما يشبهها للطعن من جانب النحاة ، ومن ذلك ما ذكره الزَّجاج عن القراءة بإسكان الهاء في (فألقه) في قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ [1] فيقول : " ومن أسكن الهاء فغالط ، لأن الهاء ليست بمجزومة ولها وجه من القياس ، وهو أن يُجْري الهاء في الوصل على حالها في الوقف ، وأكثر ما يقع هذا في الشعر أن تحذف هذه الهاء وتُبقي كسرة .

قال الشاعر :

فإنْ يَكُ غثًا أو سميناً فإنني سأجعل عينيه لنفسه مَقْنَعا[2] " .

وذكر القاضي أبومحمد عن قراءة (اقتده) – بإشباع الياء بعد الهاء – وهذا ضعيف , ولا تجوز عليه القراءة بإشباع الياء[3] .

وكذلك ذكر أبو حيان تعليق أبي حاتم على قراءة مَنْ قرأ (يَرْضَهْ) - بإسكان الهاء – فقال : هو غلط لا يجوز[4] .

وردَّ عليه بأنه ليس بغلط , بل ذلك لغة لبني كلاب وبني عقيل .

والحقيقة أنَّ بعض النحاة قد طعن في تلك القراءات ومنها ما رُوِي عن أحد القراء السبعة بحجَّة أنها لا توافق قياسهم ، وليس من الصواب رفض القراءة أو الطعن فيها بناء على عدم موافقتها لقياس النحاة ؛ لأن القرآن يقاس عليه ، ولا يقاس هو على شيء .

ب- يحمل الإشباع دلالات معنوية كثيرة منها التذكر والإنكار كما مضى .

جـ- تأتي ظاهرتا الإشباع والاختلاس كتمثيل صادق لإحدى اللهجات العربية ، فالإشباع كما سبق تمثيل للغة أهل الحجاز واليمن وبعض بني سليم ، وربيعة وقيس ، إضافة إلى تميم وطيئ ، بينما يمثل الإشباع اللهجات الخاصة بقبيلة قيس وأسد وهوازن وأسد السراة وبني كلاب وعقيل .حيث يُعَلِّق ابن الجزري على إشباع الضمة وتولُّد الواو منها , وإشباع الكسرة وتولُّد الياء منها , وإشباع الفتحة وتولُّد الألف منها فيقول هذا " على لغة المشبعين من العرب الذين يقولون : الدراهيم والصياريف , وليس ضرورة بل لغة مستعملة[5]" .

---

(1) سورة النمل من الآية (28) .
(2) معاني القرآن وإعرابه 117/4.
(3) المحرر الوجيز 103/6 .
(4) البحر المحيط 9 / 178 . وينظر : روح المعاني 23/ 244 .
(5) النشر 2 /299 .

وفي النهاية فإن وضوح تلك الشواهد الخاصة بظاهرتي الإشباع والاختلاس تأكيد على وجود هاتين الظاهرتين شعرًا ونثرًا وإن كانت الثانية دون الأولى ، حيث يقول ابن جني عن الإشباع : " ولعمرى إن هذا مما تختص به ضرورة الشعر وقلما تجيء في النثر[1] " .

ويؤكِّد على ذلك في موضع آخر فيقول : " وقد جاء من هذا الإشباع الذي تنشأ عنه الحروف شيء صالح نثرًا ونظمًا ، فمن المنثور قولهم : بينا زيد قائم جاء عمرو ، إنما يراد بين أوقات زيد قائم جاء فلان ، فأشبع الفتحة ، فأنشأ عنها ألفًا ... وروى الفراء عن بعضهم أنَّه سمعه يقول : أكلت لحما شاة ، وهو يريد لحم شاة ، فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفًا ... ومنه المسموع عنهم في الصياريف والدراهيم ... كما يقولون في الوقف : قالا ، يريدون : قال ، ثم يمطلون الفتحة فتنشأ عنها الألف ، وهذا المطل لا يكون مع الإسراع والاستحثاث إنما يكون مع الروية والتثبت[2] "

وتأكيدًا لتلك الحقيقة أشار الفراء عند تعليقه على الياء في لفظة " اخشوني " في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾[3] : " أثبتت فيها الياء ولم تثبت في غيرها ، وكلّ ذلك صواب ، وإنما استجازوا حذف الياء ، لأنَّ كسرة النون تدل عليها ، وليست تَهَيَّبُ العرب حذف الياء من آخر الكلام إذا كان قبلها مكسورًا ، من ذلك :

﴿ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾ و ﴿ أَهَـٰنَنِ ﴾ في سورة الفجر[4] ,وقوله:﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾[5] , ومن غير النون ﴿ ٱلْمُنَادِ ﴾[6] , و ﴿ ٱلدَّاعِ ﴾[7] , وهو كثير ، يكتفي من الياء بكسرة قبلها ، ومن الواو بضمة قبلها ؛ مثل قوله : ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[8] ، ﴿ وَيَدْعُ

---

(1) المحتسب 340/1 .

(2) السابق 258/1 .

(3) سورة البقرة من الآية (150) .

(4) سورة الفجر من الآية (15، 16) .

(5) سورة النمل من الآية (36) .

(6) سورة ق من الآية (41) .

(7) سورة القمر من الآية (6 ، 8) .

(8) سورة العلق من الآية (18) .

﴿ٱلْإِنسَـٰنُ﴾[1] وما أشبهه ، وقد تسقط العرب الواو وهي واو جماع ، اكتُفى بالضمة قبلها ، فقالوا في ضربوا : قد ضَرَبُ ، وفي قالوا : قد قالُ ذلك ، وهي في هوازن وعليا قيس ... وتفعل ذلك في ياء التأنيث... يحذفون ياء التأنيث وهي دليل على الأنثى اكتفاء بالكسرة[2] ".

فهذه أدلة قاطعة من قراءات القرآن الكريم الذي هو مرآة صافية للهجات العربية ... ولا ضرورة في القرآن[3] .

(1) سورة الإسراء من الآية (11) .

(2) معاني القرآن للفراء 90/1 , 91 .

(3) اللهجات العربية في التراث 689/2 .